الحشاشون

من دمشق إلى الجبال (512/535هـ)



محمد أحمد كريم

الإصدار الأول 2026

للمراسلة والملاحظات

kreammohammed48@gmail.com

الواتس / التلغرام

0905312670161

DOI: 10.5281/zenodo.20478245

10.5281/zenodo.20478245

الفصل الأول

الحشاشون من دمشق إلى الجبال (512/535هـ)

أولا: بداية انتشار الدعوة النزارية في دمشق

الاتفاق بين حاكم حلب إيلغازي وحاكم دمشق طغتكين حول الداعية بهرام

الصعوبات التي واجهت دعوة بهرام في دمشق

أسباب انتشار الإسماعيلية في دمشق

ثانيا: انتشار الدعوة النزارية (الحشّاشين) في جنوب دمشق

السيطرة على حصن بانياس جنوب دمشق

سياسة زعيم الحشاشين بهرام في حصن بانياس

ثالثا: فشل سياسة حاكم دمشق مع الحشاشين في دمشق

أحداث دمشق سنة 523هـ/ 1129م

ردة فعل النزارية على أحداث دمشق سنة (523هـ)

الانتقام النزاري من الملك بوري سنة (525هـ)

رابعاً: معالم المرحلة الجديدة التحصن في الجبال

إرسال الدعاة من جديد إلى جبال سوريا

التعريف بجبل السماق وجبال البهراء

التركيبة السكانية لجبال البهرة سنة (500هـ) وما بعدها

خامساً: قلاع الدعوة

حصن القَدمُوْسْ سنة (527هـ)

السيطرة على قلعة مِصْياف

التمهيد

شهد الكتاب الأول: عرضًا لتعريف الشيعة وبدايات تشكّلها، مع إبراز ظهور الفرقة الإمامية وتطورها، ثم تتبّع العناصر الخارجية التي أسهمت في تكوين الدعوة الإسماعيلية منذ نشاط الداعية ميمون بن الأسود القدّاح المكي، وظهور عبيد الله المهدي وسيطرته على شمال أفريقيا، مرورًا بجهود حسن الصباح في نشر الدعوة في بلاد فارس، ومواقف السلاجقة في مواجهتها.

كما تناول الكتاب الأول: القوى الفاعلة على الســاحة الســياســية عند بروز الدعوة النزارية في بلاد الشـام، وتطرّق إلى نشـاطهم في حلب وعلاقتهم بحكامها السـلاجقة، ومحاولات السـلاجقة السـيطرة على المدينة بالاستعانة بالحشاشين، بعد سيطرة تتش السلجوقي على حلب سنة (471هـ).

وأوضــح الكتاب: التجربة الدعوية للحشــاشــين، وتكرار أســلوبهم في الاغتيالات، مع تحليل العلاقات السياسية بين السلاجقة والإسماعيلية النزارية (الحشاشون)، ولا سيما علاقة رضوان بن تتش بهم، وأسباب التقارب والمصــالح المشــتركة التي جمعت الطرفين، مع الإشــارة إلى أن الباحثين اعتادوا تســميتهم بـ الحشاشين، وأحيانًا يُشار إليهم باسم النزارية أو الإسماعيلية بحسب السياق التاريخي.

وسنتكلم في هذا الكتاب عن انتقال الدعوة النزارية من حلب إلى دمشق، والأحداث التاريخية الهامة التي أثرت على تاريخ الدعوة النزارية في بلاد الشام. وأسفرت عن انتقال الدعوة النزارية إلى جبال البهرة غرب بلاد الشام وإقامتهم في الحصون المنيعة: كحصن القدموس، ومصياف.



الفصل الأول

الحشاشون من دمشق إلى الجبال (535/512هـ)

شهدت هذه المرحلة ظهور الداعية بهرام الفارسي، وتمكن بهرام من إعادة النشاط للدعوة النزارية في حلب، مع سعى لتجميع الأتباع والأنصار م، وقد وصف المؤرخون: من كان يجتمع حول الداعية بهرام بأشرار الناس، فكثر فساد أصحابه، وعظم أمرهم، فخافته الناس، وبات الحكام يحسبون له ألف حساب وتكررت هذه الظاهرة (تجميع العوام وشرار الناس) عند بعض الحركات المعاصرة كالبابية والبهائية: "يشير المؤلف(إحسان إلهي ظهير) إلى أن الدعوة البابية وجدت تربة خصبة في نفوس العوام والبسطاء والذين كانوا ينتظرون ظهور المهدي الموعود، وأن قادة الحركة استغلوا جهل وفقر هذه الفئات لتحريكهم وإشعال ثورات باسم الدين، خاصة في المناطق الريفية التي كانت تعاني من غياب التعليم التقليدي والاضطهاد الاجتماعي، فكان الأتباع الأوائل في غالبيتهم من الدهماء والباعة المتجولين." وكذلك غالبية الأتباع المنضمين للجماعات الراديكالية والعنيفة هم غالباً من الشباب البسطاء عن العمل أو الذين يعيشون على هامش المجتمعات فتستغلهم هذه التنظيمات بتوفير دور وهدف لهم.

أولا: بداية انتشار الدعوة النزارية في دمشق (512هـ /1118م)

الاتفاق بين حاكم حلب إيلغازي وحاكم دمشق طغتكين حول الداعية بهرام

أراد حاكم حلب إيلغازي ابن ارتق دفع خطر الحشاشين وتخفيف من وجودهم في حلب، وتجنيب البلاد شرهم، واتقاء فسادهم، لكنه خاف من ردة فعل الداعية بهرام وأصحابه الانتقامية،[1] لذلك أُبرم اتفاق بين حاكم حلب إيلغازي ابن ارتق وبين طغتكين حاكم دمشق، من أجل السماح لداعية بهرام وأنصاره بمزاولة نشاطهم في دمشق، وهذه الخطوة لم تحد من خطورة النزارية في حلب، وإنما ساهمت في نقل مركزهم من حلب إلى دمشق، مع تزايد نفوذهم في كلا المنطقتين. ظهر الداعية بهرام وأتباعه من الحشاشين في دمشق بشكل علني سنة (520هـ).[2]



[1] المقريزي: المقفى الكبير،ط2 ،دار الغرب السالمي، بيروت 1427 هـ - ٢٠٠٦ م، ج2 ،ص297.

[2] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، 703/8.

حاكم دمشق طغتكين (522/497 -1128/1104)

هو الأمير أبو منصــور ظهير الدين طغتكين، توفي ســنة (522هـ/1128م) في دمشــق، هو من أتابك دمشق ومؤسس دولة البوريين، عُرف بالشجاعة والعدل وكثرة الغزوات ضد الفرنج. يعد من أصل تركي، من مماليك السلطان السلجوقي تتش بن ألب أرسلان،



صـــار أتابكاً (مربياً وقائداً) للأمير دقاق بن تتش بعد أن زوّجه تتش بأم ولده. هي "صــفوة الملك"، وهي والدة الأمير دقاق بن تتش. جرت العادة عند السلاطين السلاجقة قديماً، إذا أرادوا توثيق الصــلة بقائد عســكري كبير وائتمانه على أبنائهم (الأمراء الصــغار)، أن يزوجوه من والدة هؤلاء الأبناء (إما بعد طلاقها أو في حياتهم ليكون أتابكاً/ مربياً).بعد وفاة دقاق سنة 497هـــ/1104م، تولى طغتكين حكم دمشق، واستمر 35 سنة.

لُقّب بـــ ظهير الدين، وكان يوصف بأنه شهم، شجاع، مهيب، مجاهد ضد الفرنج، مؤثر للعدل،خاض معارك بارزة مثل: حصار طرابلس. معركة أعزاز. معركة الصنابرة. حصار صور سنة 1124م.

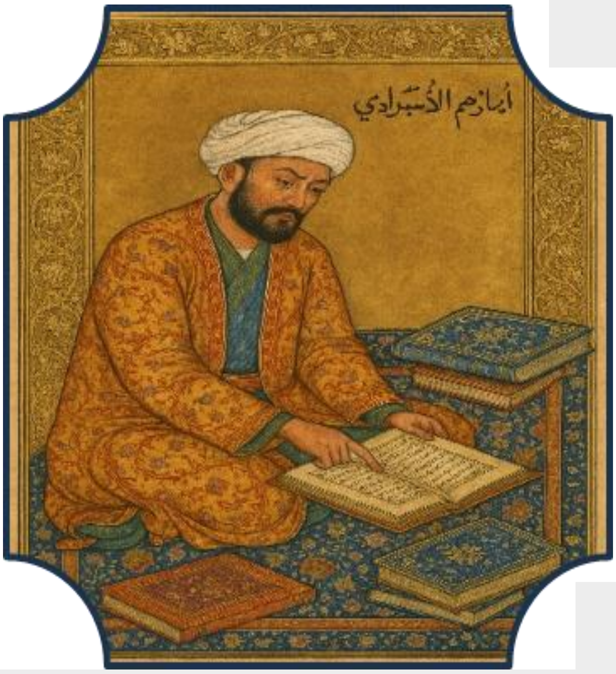
كان له دور كبير في حماية دمشـــق من الحملات الصـــليبية، حتى قال الذهبي: «لولا أن الله أقام طغتكين للإسلام بإزاء الفرنج، وإلا كانوا غلبوا على دمشق؛ فقد هزمهم غير مرة، فقد كان سيفًا مسلول

عُرف بحسن معاملته للرعية، وإيثاره للعدل، كان مهيباً في النفوس، شجاعاً في القتال، كثير الغزوات ضد الفرنج، حافظ على استقرار دمشق، وأبقى وزيره أبو علي طاهر بن سعد المزدقاني في منصبه حتى بعد وفاته، أوصى بالملك لابنه تاج الملوك بوري الذي خلفه بعد وفاته.

كان شخصية محورية في تاريخ دمشق خلال القرن السادس الهجري، جمع بين القيادة العسكرية والسياسة الحكيمة، وأرسى دعائم حكم استمر بعده لعقود.

الداعية بهرام الاسترآبادي

بهرام الأسترآبادي المعروف بـ"بهرام الداعي"، ولد (441هـ/1050م) في بلاد فارس، توفي (522هـ/1128م) في وادي التيم يعد من أتباع الداعية حسن الصباح مؤسس الدعوة الجديدة في قلعة ألموت.



بعد مقتل خاله أبو إبراهيم الأسدآبادي في بغداد سنة 1101م، هرب بهرام إلى الشام، وصار الداعي الرئيسي للإسماعيلية النزارية هناك .

اتخذ من حلب ودمشق مراكز لنشاطه، وكان يتنقل متخفيًا بين المدن والقلاع، يغير هيئته ولباسه حتى لا يُعرف، كان شخصية بارزة في نشر الفكر الباطني، اعتمد على التخفي والدهاء السياسي، واستمالة العامة، ودعم بعض الوزراء والأمراء.

تمكن من السيطرة على قلعة بانياس جنوب دمشق سنة 520هـ/1126م، وحصّنها وبث دعاته في المناطق القريبة من الحصن ، وسعى لتوسيع نفوذه مما زاد من خطره.

وجد دعمًا من بعض الأمراء مثل نجم الدين إيلغازي بن ارتق صاحب حلب، وطغتكين صاحب دمشق، كما ساعده الوزير أبو علي طاهر بن سعد المزدقاني..

الصعوبات التي واجهت دعوة بهرام في دمشق

أ- أغلب سكان دمشق يغلب عليهم مذهب أهل السنة

ب- عامة سكان دمشق ينكرون مذهب الإسماعيلية النزارية ويرفضون أن يروهم في الحكم على أن يستلموا حكم البلد، فكثرة شكاويهم واعتراضهم على موقف الوزير المؤيد للنزارية.

ت- تعامل أهل دمشق مع النزارية، بتعالي وغلظة وعدم تقبل وجودهم وانتشارهم في دمشق.[3]

عمل الداعية بهرام مع الأحداث في دمشق:

تمكن من التغلب على الصـــعوبات وتجاوز التحديات، من خلال إقامة علاقات مع حاكم دمشـــق طغتكين، ومع رجال السـلطة كالوزير أبو علي طاهر بن سـعد المرغيناني. ومع تتابع الأحداث تحول ثقل النزارية ومركزتيها الرئيسـية، من حلب إلى دمشـق بقيادة زعيمهم بهرام الاسـترباذي الذي أصـبح يقود الحركة الباطنية قيادة مركزية من دمشـــق وله مندوبين في باقي المناطق من بلاد الشـــام وســـعى إلى استقطاب المزيد من الأنصـار وفسح المجال لانضمام مزيد من الفئات الاجتماعية حتى وإن كانت منبوذة في المجتمع أو معروفة بالفساد .

وكذلك ســعى لاســتقطاب رجال الســلطة إلى صــفه فاســتجاب له الوزير أبو طاهر بن ســعد المرغيناني، وكان على المذهب الســـني، ولم يكن على اعتقاد الباطنية، فقد أراد يقوي نفســـه ومكانته بالنزارية، فقدم لهم المعونة والدعم المناسب حتى تكون الإسماعيلية عوناً وسنداً له.[4]

---

[3] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، 703/8، للمزيد انظر أحداث سنة (520هـ).

[4] ابن القلانسي: تاريخ دمشق، 342؛ ابن الأشداد: الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، معهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق: الذهبي: تاريخ الاسلام. 312/35.

وبذلك أصبحت الدعوة الإسماعيلية تعمل تحت غطاء سلطوي من الوزير، ورسمي من الحاكم طغتكين، مع قاعدة شعبية ضمت فئات من الجهلة والرعاع والسفهاء. فغدت الدعوة النزارية على عهد بهرام تتجول في بلاد الشام في شمالها وجنوبها ووسطها بحرية وبغطاء رسمي.

وتمثلت جهود الإسماعيلية النزارية في دمشق على الشكل التالي:

1. التقارب من رجال السلطة في دمشق
2. فتح دار للدعوة في دمشق لجلب الأنصار والأتباع. وتقوّت شوكتهم حتى صاروا لا يدفعون الجزية، وكان لهم مُدبر في منطقة "القدموس" يُدعى "الشيخ" (أبو علي).[5]
3. تشكيل مجموعات من المنتسبين والمنتفعين ومن السفهاء، لنشر أجواء من كتم الأفواه وإرهاب المخالفين والتضييق عليهم، فلم يتجرأ أحد من الفقهاء وعلماء السنة على التكلم بما يجري في دمشق خوفاً من السلطة الداعمة للإسماعيلية من جهة وخوفاً من بطش وخناجر الإسماعيلية من جهة ثانية، وقد طالت بالفعل خناجرهم بعض أعيان دمشق.[6]

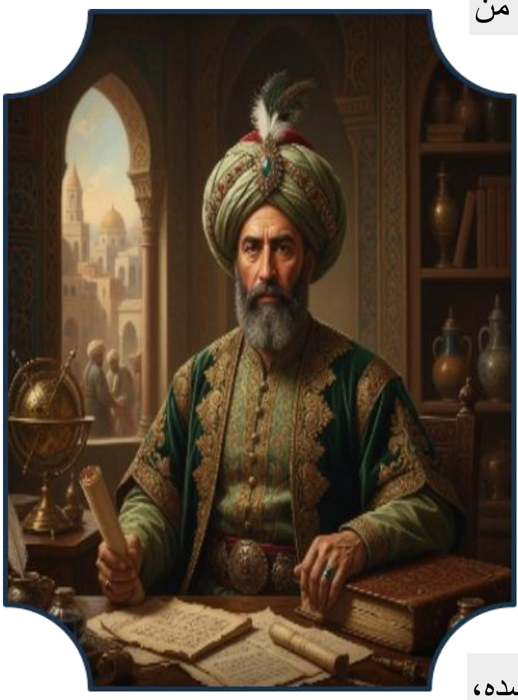
أسباب انتشار الإسماعيلية في دمشق

شهدت دمشق في تلك المرحلة توسّعًا ملحوظًا لنفوذ الدعوة النزارية، وقد أسهمت في ذلك جملة من العوامل المتداخلة. فقد كان للنشاط المكثّف الذي قام به الداعية بهرام أثرٌ مباشر في استقطاب الأتباع، حتى ازداد عددهم في دمشق، وتعاظم نفوذهم، واشتدّ سلطانهم. كما شارك النزاريةُ حاكمَ دمشق طغتكين في حشد القوى للدفاع عن المدينة عندما أعلن ملك الفرنج بغدوين عزمه الهجوم على حوران جنوب دمشق، فاستقدموا مجموعات قتالية من حمص لتعزيز خطوط الدفاع.

وزاد من ترسّخ الدعوة دعمُ الوزير أبي علي طاهر بن سعد المزدقاني، الذي أتاح لبهرام مساحة أوسع لنشر دعوته وإظهار ما كان يخفيه من أهداف. ومع اتساع نفوذ النزارية وقوة شوكتهم، أصبح الوزير شريكًا في مخططاتهم، يسهّل تحركاتهم ويهيّئ لهم الظروف الملائمة لتعزيز حضورهم في دمشق.[7]

5ميخائيل السوري: تاريخ ميخائيل السوري، نقلاً عن: سهيل زكار، موسوعة الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق، 1995)، 1/ 144 .
6 ابن الأثير: الكامل في التاريخ، 8 /703. للمزيد انظر أحداث سنة (520 هـ) [4] ابن القلانسي، تاريخ دمشق، 339.
7 ابن القلانسي: تاريخ دمشق، 339.

الوزير أبو علي طاهر بن سعد المزدقاني



ذو أصول فارسية، لديه شخصية قوية وعلى قدر واسع من الدهاء والخبث الظلم ويتمتع بنفوذ واسع. وبوجوده في منصب الوزارة، ازداد نفوذ النزارية في دمشق تحت حمايته، ووجدوا منه تجاوباً لدعواتهم. لم يكن المزدقاني إسماعيلياً باطنياً بالعقيدة، عند المستشرقين، وإنما داعماً سياسياً نفعياً. وعند المؤرخين العرب: خائناً راسل الصليبيين وأراد تسلمهم دمشق، وميله إلى الحشاشين لم يكن مجرد مصلحة سياسية. ازداد نفوذ المزدقاني والباطنية بعد وفاة طغتكين سنة (522 هـ / 1128 م)، في عهد بوري ابنه تاج الملوك بوري، فخشي من تعاظم شأن الوزير المزدقاني. وخاصة بعد كشف تأمره مع الصليبيين والحشاشين لسيطرة على دمشق، فأمر تاج الملوك بوري بقتله سنة(523هـ،1129م) وأحرق جسده، واعقب ذلك حملة كبيرة على الحشاشين في دمشق راح ضحايا الألاف.

وما أن وصلت سنة (520 هـ)

حتى كان للنزارية القوة والمنعة والوجود الظاهر والانتشار الواسع والواضح في دمشق.[8]

---

[8] الذهبي: تاريخ الاسلام، 312/35.

من يتحمل مسؤولية انتشار النزارية في دمشق

يُعَدّ **الملك إيلغازي**، حاكم حلب، أحد أبرز من أسـهموا بصـورة غير مباشـرة في انتشـار النزارية في دمشـق. فقد اتخذ النزارية وسـيلة للضـغط على خصـومه السـياسـيين، وسـعى في الوقت نفسـه إلى إبعاد خطرهم عن حلب. ولهذا أشـار على طغتكين، حاكم دمشـق، بأن يسـلك النهج نفسـه، فاسـتجاب الأخير لذلك. كما ساعد على انتشارهم في بلاد الشام استجابةُ الناس لهم بدافع الخوف من خناجرهم وجرأتهم في الاغتيال.[9]

طغتكين، حاكم دمشـق، يتحمّل جانبًا من المسـؤولية عن توسّـع النزارية في المدينة، إذ انتهج سـياسـة المسايسة معهم اتقاءً لشرهم، وظلّ ينتظر الفرصة المناسبة للتخلص منهم. وقد أتاح لهم هذا النهج مساحة للتحرك والنفوذ، رغم أنه لم يكن مقتنعًا بهم، بل كان يتعامل معهم بحذر شديد.[10]

ساهم تبنّي **بعض الحكّام** لفكرة حماية النزارية والدفاع عن وجودهم في تعزيز حضورهم داخل دمشق.

الوزير أبو علي طاهر بن سعد المزدقاني من أبرز الداعمين للنزارية في دمشق. فقد رغب في كسب حمايتهم ونيل مكانة لديهم، فقرّبهم، وفتح أمامهم أبواب النفوذ، وسهّل لهم نشر دعوتهم.

العلماء والفقهاء وأهل السـنة في دمشـق، فقد ضـاقت صـدورهم من هذه الفتنة، لكنهم أحجموا عن الاعتراض العلني خوفًا من بطش النزارية، وانتظارًا لانكشاف أمرهم وزوال شوكتهم. وقد ازداد الوضع سوءًا حين شـرع أتباع النزارية في قتل من يعارضـهم، ومناصـرة من يوافقهم، حتى بلغ الأمر حدًّا لم يعد معه سلطان ولا وزير ولا أمير قادرًا على ردعهم أو كسر نفوذهم.[11]

---

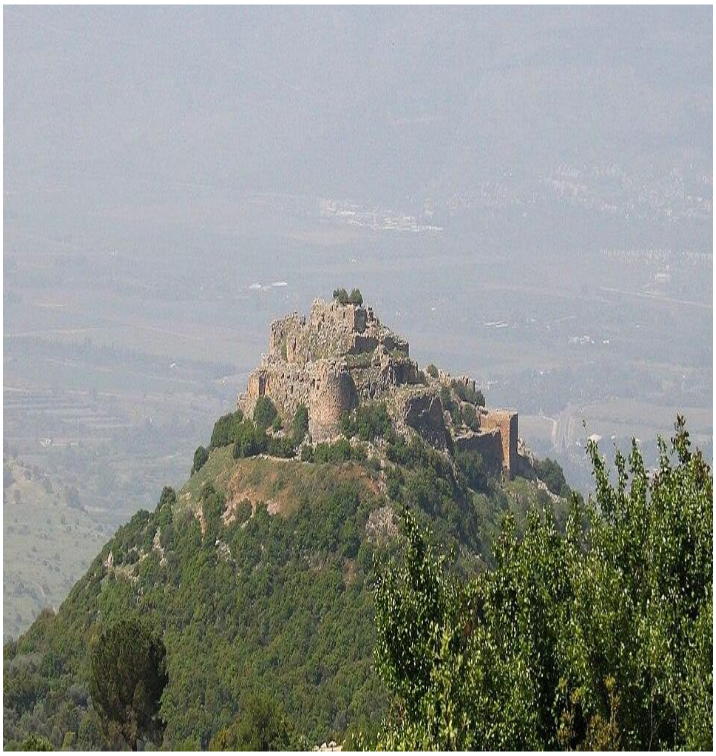
[9] ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر، 124/4.

[10] ابن شداد: الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة. 139. ،

[11] لابن القلانسي: تاريخ دمشق ، 1/ 343.

ثانيا: انتشار الدعوة النزارية (الحشّاشين) في جنوب دمشق

السيطرة على حصن بانياس جنوب دمشق



هي مدينة في منطقة الجولان جنوب غرب دمشق . فيها قلعة تسمى " الصُبيبة " بناها الفرنج بعد سنة(500هـ)، ثم استعادها طغتكين حاكم دمشق منهم وقام بإصلاح القلعة، ثم سلمها للنزارية سنة (520هـ). ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، 2/ 139. وقد زار الرحالة ابن جبير مدينة بانياس وذكر ابن جبير أن للحصن مورد خاص فيه عن طريق المقاسمة: تقاسم موارد الأراضي وما فيها من المواشي، وبهذا يمكن أن يؤمن الحصن للنزارية مصدر من مصادر التمويل لأعمالهم ونشاطاتهم.

في سعي الداعية بهرام إلى توسيع نفوذ الدعوة النزارية وتأمين موطئ قدم لها، طلب من حاكم دمشق طغتكين أن يسلّمهم حصنًا يلجؤون إليه. فأشار الوزير أبو طاهر بن سعد المرغيناني بتسليمهم حصن بانياس، ورأى في ذلك فرصة لإبعاد خطرهم عن دمشق وتوجيه تمركزهم نحو الصليبيين الذين كانت أنظارهم متجهة إلى المدينة. فاستجاب طغتكين، وقام بتسليم حصن بانياس إلى النزارية، واعتبر المؤرخ الذهبي هذه الخطوة، من الأخطاء في سياسة طغتكين مع النزارية،[12]

12 الذهبي: تاريخ الإسلام. 19/ 36.

عنوان وفي تسليم حاكم دمشق حصن بانياس للنزارية

العديد من الأسباب أهمها:

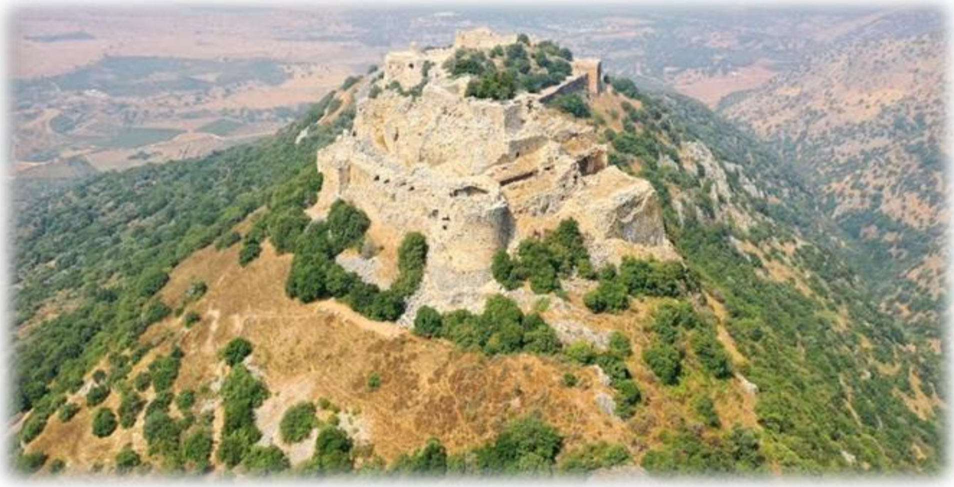
أ- رغبة حاكم دمشـــق في إخراج الإســـماعيلية النزارية خارج دمشـــق وخاصـــة بعد أن كثر أتباعهم واستفحل أمرهم، فأراد دفع خطرهم خارج دمشق.

ب- جعل الإسماعيلية بمثابة حاجز بين مناطق الحاكم طغتكين ومناطق الصليبيين، وبذلك يسلط الإسماعيلية على الصليبيين.

ت- توقع الحاكم طغتكين أن الإسماعيلية ستحافظ على الحصن، الذي يعد من الثغور المتقدمة ضد الصليبيين.

ث- وربما كانت هذه العوائق، إلى جانب ما اتّصــف به الداعية بهرام من بُعد نظر وقدرة على اســتشــراف العواقب، كفيلة بأن تقود في نهاية المطاف إلى صدام مع الأهالي؛ وهو صدام لم يكن النزارية يرغبون في تكرار تجربته المريرة التي شهدتها حلب سنة 507هـ، حين انتهى الأمر بتدخّل السلطة الحاكمة إلى جانب العامة، فحُسم الموقف عسكريًا، وأدّى ذلك إلى فقدان الإسماعيلية النزارية لمواقعهم ونفوذهم.

فقرر أن يكون تجمع الباطنية خارج دمشـــق وعلى أن يكون المكان محصـــن حتى يحتموا فيه ويلتجؤون إليه، ويسهل الدفاع عنه ويصبح لهم منعة وقوة، وهذه سياستهم في تملك الحصون والامتناع بها ثم التوسع لما حولها من المناطق.



سياسة زعميم الحشاشين بهرام في حصن بانياس

بعد استلام بهرام الحصن قام على إصلاحه والعمل على ترميم ما تهدم منه، وتجمع حوله العديد من البسطاء والعوام والسفهاء والغوغاء من الناس، ونشر دعاته في المناطق المحيطة وفي الأمصار، ولم يتخلى عن دمشق بل حافظ على نفوذه، وعين نائب عنه عند السلطة، فقوي نفوذه وزاد خطره واتسع شره وبقي الوزير طاهر بن سعد المزدقاني يقدم لهم المعونة والدعم السياسي والمناصرة وما يلزمهم لاستمرارهم ثم عمل على تأمين المناطق المحيطة بالحصن والسيطرة عليها، السعي نحو السيطرة على الحصون والقلاع، فتمكن من السيطرة على عدد من الحصون منها حصن القدموس في الجبال الغربية لبلاد الشام.[13]

[13] ابن القلانسي: تاريخ دمشق. 351.



التوسع على حساب الدروز

حاول بهرام إخضـاع السكان المحليين المتواجدين بالقرب من حصـن بانياس والمناطق المحيطة به وفي وادي التيم؛ قطاع من الأرض مستطيل يمتد على شكل شريط بمحاذاة السفوح الغربية للجبل الشرقي وحرمون على امتداد يبلغ(50) كيلومتر، حيث تتواجد طوائف من الشـيعة والدروز والنصـيرية والملاحدة، وكان أقربهم إليه وأكثرهم الدروز، فاتبع معهم سياسته المعهودة من إرهاب وتخويف الخصوم وقتل الأعيان والوجهاء. فقام باعتقال الشاب: برق بن جندل أحد أعيان وادي التيم وهو من الشيعة الدروز.

وكان القصد هو الإرهاب وبث الرعب في الخصوم، فلم توجه تهمة معينة أو محددة، وتم حبسه ثم قتل لدون سبب. وكان لهذه الحادثة رد عكسي وغير متوقع على بهرام وأتباعه، فقد حدث تفاعل واستنكار من قبائل والأهالي مع حادثة قتل الشاب برق بن جندل وتم حشد الأنصار والأتباع بقيادة ضحاك ابن جندل شقيق المقتول برق، وتفاعل أهل الوادي مع القضية.

قرر الداعية بهرام التوجّه لمعاقبة سكان وادي التيم بعد تزايد توترهم مع النزارية، فترك الحصن في يد إسماعيل العجمي، وهو فارسي الأصل ومن أقرب رجاله وأكثرهم ثقة، يشاطره المهام والمسؤوليات. ثم جمع بهرام قواته وسار نحو الوادي، ونصب معسكره هناك، غير أنه فوجئ بهجوم عنيف ومباغت من سكان وادي التيم. فانهارت صفوف جنوده سريعًا، وفرّ معظمهم، بينما تمكن المهاجمون من اقتحام خيمته وقتله، ثم قطعوا رأسه وأرسلوا خاتمه إلى الدولة الفاطمية في مصر. وقد استقبلت السلطة الفاطمية هذا الخبر بترحيب كبير، فأغدقت على المنتصرين المكافآت السخية وقدّمت لهم الدعم والتأييد. وكانت النتيجة الأبرز لهذه الواقعة مقتل الداعية بهرام، وما ترتب على ذلك من خسارة النزارية لمواقعهم ونفوذهم في المنطقة. [14]



[14] ابن الأثير: الكامل، 17/9؛ ابن القلانسي: تاريخ دمشق، 352؛ المقريزي، المقفى الكبير. 297/2. ابن شداد: الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة. 139.

خلف بهرام في زعامة الحشاشين، إسماعيل الفارسي الذي سار على نفس سياسة بهرام، وعمل على إعادة ترتيب صفوف النزارية، مع مساعدة من الوزير المزدقاني، وبدأ التعافي يظهر عليهم بعد مقتل زعيمهم بهرام، لكن الوقائع على الأرض بدأت تتغير، والأحداث تتسارع والأطراف الموجودة تترصد ببعضها الدوائر.

انتقام الإسماعيلية من الدروز في شعبان سنة (543هـ)

وفي المقابل لم ينسَ النزارية مقتل زعيمهم بهرام، فكان من منهجهم الثأر ممّن يتعرّض لهم، لما يحمله ذلك من أثر مزدوج: إذ يعزّز تماسك أتباعهم ويقوّي عزيمتهم على الدعوة، وفي الوقت نفسه يبثّ الرهبة في نفوس خصومهم ويمنعهم من التفكير في التعرض لهم. وفي شعبان سنة 543هـ أرسلوا رجلين لتنفيذ مهمة اغتيال ضحّاك بن جندل التميمي؛ كان أحدهما صانع أقواس والآخر صانع سهام، فتقرّبا إليه بصنعتهما وسكنا في جواره مترقّبين اللحظة المناسبة.

وحين سنحت الفرصة، انفردا به فوثبا عليه وقتلاه، ثم فرا هاربين، غير أن رجال ضحّاك أدركوهما وأحضروهما إليه، وكان لا يزال فيه رمق. فلما رآهما أمر بقتلهما، ثم فاضت روحه في الحال، وتولّى ابنه بعده إمارة وادي التيم.

الدروز

في ظل حكم الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (375/ 411هـ)، الذي عُرف بتقلّباته في الفكر والسلوك، وبممارسات اتسمت بالقسوة والاضطراب. في هذه الأجواء ظهر حمزة بن علي الزوزني (430/375هـ)، الذي يُعدّ المؤسس الفعلي لعقيدة الدروز، إذ أعلن سنة(408هـ) أن روح الإله قد حلّت في الحاكم بأمر الله، ووضع الكتب التي أصبحت أساس المذهب.



شارك محمد بن إسماعيل الدرزي المعروف بـ نُشتكين في بدايات الدعوة، لكنه أعلن ألوهية الحاكم سنة(407هـ) قبل أن يعلنها حمزة، مما أثار غضب الأخير والناس عليه. فغادر إلى الشام ودعا هناك إلى مذهبه، فارتبط اسم الفرقة به، رغم أن أتباع حمزة يرفضونه ويلعنونه. وانتهى أمره سنة (411هـ) بعد أن دبّر حمزة التخلص منه.

مناطق الانتشار

انتشر الدروز داخل **بلاد الشام**، وتحديدًا في المناطق الجبلية التي وفّرت لهم بيئة مناسبة للانزواء والحماية. ويتركّز وجودهم التاريخي في ثلاث مناطق رئيسية:

جبل الدروز (جبل العرب) في جنوب سوريا وهو أكبر تجمع درزي حتى اليوم، وقد أصبح مركزهم الاجتماعي والسياسي منذ القرن السابع عشر.

جبل لبنان خاصة في مناطق **الشوف** و**عاليه** و**راشيا** و**حاصبيا**، حيث لعبوا دورًا مهمًا في تاريخ الإمارة اللبنانية.

شمال فلسطين التاريخية خصوصًا في **الجليل** و**الكرمل**، ومنطقة ال جولان وادي التيم، وما زالت هذه المناطق تضم تجمعات درزية كبيرة.

أما خارج بلاد الشام، فوجودهم محدود، ويقتصر على **جاليات صغيرة** في:

الأردن خاصة في منطقة الأزرق، بأعداد قليلة

المهجر مثل: أمريكا الجنوبية، الولايات المتحدة، كندا، وأستراليا، نتيجة الهجرات الحديث



ثالثاً: فشل سياسة حاكم دمشق طغتكين مع الحشاشين

لم تنجح سياسة صاحب دمشق طغتكين في إبعاد خطر النزارية عن دمشق، ومع ذلك أوصى ابنه بوري قبل موته، بأن يعمل بنفس سياسته في مداراة النزارية. في سنة (522هـــ) كانت وفاة طُغْتِكِين بن عبد الله، ودام حكمه لدمشق (35) سنة، وكان حسن السيرة وأحبه أهل الشام وحزنوا على وفاته، وأوصى ابنه بُوري بالسير على طريقته ومنهاجه، وسار بُوري في بداية حكمة على سياسة أبيه في الرعية، وشدد على الأعداء والأضداد وأنصف المظلومين وردع الظالمين، وأقر ما كان على عهد أبيه من امتيازات وصلاحيات.[15]

عزم بُوري على التخلص من النزارية، واستئصال شأفتهم وتفريق صفهم، وخاصة بعدما ظهر نفوذهم وكثر أتباعهم وعم شرهم واتسع فسادهم، ومع ذلك لم يظهر الأمير بُوري هذا الأمر لمن حوله أو يحدث أحد بنية ما سيقوم به ويفعله، وكان يتابع أخبار بهرام، دون التدخل ولا يشعرهم بعدم رضاه عم يجري فقد كان يدير الأمور بسرية تامة، وبسياسة موفقة وحكمة وحلم كبير إلى أن يأتي الوقت والفرصة المناسبتان. وقد أراد بوري السيطرة على حصن القدموس، في محاول لتطويق انتشار الصليبيين، وتوسيع لنفوذه ولمعرفة مدى صدق النوايا بينه وبين الإسماعيلية، لكن القائم عليه ابن محرز رفض طلبه وبالمقابل أعلن بشكل علني تسليم الحصن للإسماعيلية.[16] في تحدي واضح لسلطة بُوري، ثم سيطر الصليبيين على الحصن سنة (524هـ).



[15] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان. 20 /213.؛ابن القلانسي، تاريخ دمشق، 348.

[16] ابن القلانسي، تاريخ دمشق، 350-351.؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، أحداث 523.

الوزير المزدقاني وزعيم الحشاشين في دمشق أبو الوفا

بقي الوزير المزدقاني يقدم الدعم والتأييد للنزارية، وأظهر من الإخلاص والخدمات الشـــــيء الكثير، وبعد انتقال بهرام إلى حصـن بانياس بقي على نفس السـيرة مع من خلف بهرام في دمشـق أبو الوفا الذي شـغل منصـب القضـاء، وعظم أمر أبو الوفا وأصـبح ذو نفوذ واضـح في دمشق، ينافس وأحياناً يغلب نفوذ الملك بوري،[17]

والذي يظهر بأن الملك بوري كان يراقب الأوضـاع عن كثب ويحاول أن لا يعلم الوزير بنيته في وضـع حد للإسماعيلية ولأنصارهم، فلذلك كان الوزير يظن نفسه في مأمن من السلطان وممن يترصد الإيقاع به في بلاط الحكم وفي منعة وحماية من قبل أصحابه النزارية. قوي أمر الداعية أبو الوفا في دمشق وبات له نفوذ يضـاهي نفوذ الأمير بُوري وربما زاد عليه. واسـتفحل أمرهم، وهذا الأمر لم يعد خافي على أحد وكل ذلك بدعم وتأييد من الوزير المزدقاني. وبنفس الوقت كثرة الأصـوات التي تنادي بوضـع حد لهم من بلاط الحكم كرئيس الشــرطة في دمشــق وجيه الدين المفرج بن الصــوفي والحاجب ابن فيروز.[18] وبالإضـــافة لموقف بوري من الإسماعيلية بعد حادثة حصن القدموس. زاد على ذلك الأجواء المحتقنة في أحياء دمشق من النزارية، وزيادة شـكاوي العامة من الإسـماعيلية عليهم ومطالب الأعيان الفقهاء في دمشـق بضـرورة وضع حد للإسماعيلية مع تزايد أعداد المتضررين من أفعال الإسماعيلية.[19]



[17] ابن الأثير: الكامل، 17/9.

[18] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان. أحداث سنة (523هـ).

[19] ابن القلانسي، تاريخ دمشق، 354.

أحداث دمشق سنة (523هـ/ 1129م)

كل هذه العوامل دفعت الوزير المزدقاني ومعه الباطنية لسبق الأحداث والاستنجاد بالعدو الخارجي من الصليبيين وتسليمهم دمشق مقابل أن يستلم الوزير والباطنية صور. وتم تحديد ساعة الصفر يوم الجمعة، وتنص الخطة على حبس الناس في الجامع وتسليم القلعة للصليبين، و بالفعل جاء الصليبيين في الميعاد وحاصروا دمشق لكنهم لم يظفروا بشيء ورحلوا عنها.[20]

ليجد الملك بُوري نفسه وجها لوجه مع الإسماعيلية ومضطراً للصدام معهم وكانت بداية الحملة على الإسماعيلية في دمشق، في شهر رمضان سنة(523هـ)

بعد اكتشاف المؤامرة التي استهدفت الانقلاب على حكم بُوري بالاتفاق بين الوزير المزدقاني وزعيم الباطنية في الشام، فكانت رد فعل الحاكم بُوري هو قتل الوزير طاهر بن سعد المزدقاني سنة (523هـ) ثم القيام بحملة مداهمات على أماكن تواجد وتمركز الإسماعيلية، فتم حرق دار الدعوة التابعة للباطنية ومداهمة أماكن تواجد زعمائهم، ودعاتهم كشاذي الخادم وهو أحد تلاميذ أبي طاهر الصائغ، تم قتلهم وصلبهم على أسوار دمشق.[21]



[20] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 9/ 17. ؛ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، 2/ 33.

[21] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان. أحداث سنة(523هـ). ؛ابن القلانسي، تاريخ دمشق، 355.

الأحداث كما يرويها ابن سبط الجوزي(ت654 هـ) في كتابه: "*مرآة الزمان في تواريخ الأعيان*، 20/ 217":

«وفيها كانت فتنة الإسماعيلية بدمشق، وكان ابن محرز قد سَلَّم إليهم حِصن القدموس لأَنَّ بُوري قصده ليأخذه منه، فسلمه إليهم، وكان الوزير المَزْدَقاني بدمشق يكاتبهم ويهاديهم خوفًا من بني الصّوفي، فَشَرَعَ وجيه الدِّين المُفَرِّج بن الصُّوفي رئيس دمشق مع بوري في الإغراء بالإسماعيلية، وهوَّن عليه أمرهم، وساعده الحاجب فيروز، ثم اتَّفقوا على قَتْلِ الوزير المَزْدَقاني، فاستدعاه بُوري إلى القلعة سابع رمضان، فجلس عنده، فلمَّا قام ليخرج وَثَبَ عليه جماعةٌ من الأجناد، فقتلوه في دِهْليز قلعة دمشق، وقطعوا رأسه، وأحرقوا جسده في باب الحديد، ثم مضوا إلى دار الدَّعْوة، وقتلوا كلَّ من بها، وثار عوامُّ دمشق على الإسماعيلية، فقتلوهم شَرَّ قِتْلةٍ؛ ذبحًا ورضًّا بالحجارة والسُّيوف، وصَلَبوا منهم جماعةً على سور دمشق، فكان عِدَّةُ مَنْ قُتِلَ منهم عشرة آلاف على ما قيل، ولم يتعرضوا لحريمهم ولا لأموالهم، فقال نَصر بن إبراهيم البازْيار يمدح ابنَ الصّوفي:

مَلَكْناكُمْ فَصُنَّا مَنْ وراكُمْ ... ولو مُلِّكْتُمونا لم تَصُونوا

أَسَلْنا مِنْ دمائِكُمُ بحورًا ... جسومكُمُ لجائِشها سَفِينُ

فقلتُ لذي النِّفاقِ بحيثُ كانوا ... أبادَ حِماكُمُ الأسدُ الحرونُ»

والذي يظهر من خلال القراءة في المصـــادر التاريخية أن الأمر خرج عن الســيطرة وتحولت أحياء دمشـق لحالة من العصـيان الشـعبي والتمرد الذي خرج عن السـيطرة لتشـهد الباطنية ثورة شـعبية ضـدها اسـتغلها الأحداث والغوغاء والسـفهاء من الناس والعامة من الناس فقتلوا كل من ظفروا بهم من الباطنية، أو منتمي لهم أو له علاقة بهم، وجرت متابعتهم وإخراجهم من أماكنهم، وقتلهم تم تحديد النســـاء وعدم التعرض لهم أو لأموالهم، ونتيجة هذه الفوضى طالت بعض الأبرياء بالقتل.[22]

رأي المؤرخين بهذه المقتلة الكبيرة:

يقـدر ابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، وابن الوردي (ت ٧٤٩هـ)، والـذهبي (ت748هـ) عـدد القتلى من الإسماعيلية بستة ألاف. بينما يقدرها المؤرخ الأصبهاني (ت597هـ) بـــــ عشرين ألف قتيل بين منتسب

[22] ابن القلانسي: تاريخ دمشق، 355.؛ الأصبهاني: البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، 336.

للنزارية ومن جملتهم أبرياء. ويذكر سبط ابن الجوزي عدد القتلى بـ عشرة آلاف، ونفى أن يكون قد حصل اعتداء على النساء أو على الأموال.[23]

المقتلة جاءت ردا على محاولة السيطرة على دمشق وقد ذكر هذه المؤامرة كل من المؤرخين ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) وابن الوردي (ت ٧٤٩هـ) والذهبي (ت748هـ) والقلقشندي (ت ٨٢١هـ) وابن خلدون وغيرهم.[24]

ويذكر المؤرخ السرياني ميخائيل السوري(ت595هـ)

تطورت الأحداث حين قُتل الوزير، مما أثار غضب الإسماعيلية الذين اجتمعوا في دارهم وسلّوا سيوفهم وبدأوا بالقتل والذبح العشـوائي. ورداً على ذلك، ثار أهل المدينة وكل الشـعب عليهم، فقتلوا منهم أعداداً هائلة (يُذكر الرقم سـبعين ألفاً من العرب)، وطاردوهم حتى أفنوا سـائر الإسـماعيلية.[25] وروايته يضـعف الاستدلال بها، لتفرده بأحداث ذكرها.

موقف المستشرقون من الحادثة

يذكر المستشرق برنارد لويس سبب الحملة هو وفاة الحاكم طغتكين، فيقول:

"وأعقبت وفاته حملة من رد الفعل ضد الإسماعيليين تشبه تلك التي حدثت بعد وفاة رضوان في حلب. وجاءت المبادرة هنا أيضـاً من حاكم المدينة مفرج بن الحسـن بن الصـوفي وكان خصـماً متحمسـاً للفرقة وعدواً للوزير. فقد تكاتف هذا الحاكم مع قائد الجند في المدينة يوسـف بن فيروز على تحريض بوري ابن طغتكين وخليفته على توجيه ضـربة قاضـية للإسماعيليين." *الحشاشون*،165.

ويقول عن المؤامرة

أما القصة التي تكررت كثيراً عن وجود مؤامرة من الوزير والحشاشين، لتسليم دمشق إلى الإفرنج فأنها كذلك تعتمد مصدر واحد غير وثيق، ويمكن رفضها تماما كإشاعة كاذبة معادية، وكذلك المستشرق فرهاد

---

[23] ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، 2- 33؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، 36./19؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ،17/9. ؛عماد الدين الأصبهاني، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، 336؛ ابن الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، 6/ 503. ؛سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، 217/20.

[24] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 9/ 17. ؛ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، 2/ 33. ؛الذهبي، تاريخ الاسلام، 19/ 36. ؛القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، 157/1. ؛عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، 4/ 125.

[25] تاريخ ميخائيل السوري، 144/1.

الذي أرجع سبب الحملة لأحد تلاميذ الداعية النزاري أبي الطاهر الصائغ ويدعى شاذي الخادم نقلاً عن المؤرخ ابن القلانسي (ت 555هـ) في كتابه *تاريخ دمشق*،355. يقول فرهاد في كتابه" *الاسماعيليون*، 282.

"في سنة 523 هـ / 1129 م، وقعت مجزرة مروعة بحق النزارية في مدينة دمشق، شبيهة بما جرى في حلب عقب وفاة الأمير رضوان. إذ هاجم عسكر المدينة، مدعومًا بجمهور أهل السنة، جماعة النزارية، فقتلوا منهم أكثر من ستمائة نفس، وصادروا ممتلكاتهم. وقد صُلب بعضهم في شوارع دمشق، ومن بينهم عبد المعطي، خادم أبي طالب الحلبي ".

ويذكر سبط ابن الجوزي (ت654 هـ) عن خلاف وقعَ في بلاط الملك بوري، بين الوزير المزدقاني، وقائد الشرطة ابن الصوفي، يساعده الحاجب فيروز، فلجأ الوزير المزدقاني للحشاشين، يطلب العون منهم ويحتمي بهم، لخوفه من قائد الشرطة الحاجب وليقتل الوزير المزدقاني، وتبدأ بعدها أحداث دمشق.

لا نجد سبب كافي للحملة التي تعرضت لها الباطنية بعد مقتل الوزير بتفسير بعض المؤرخين كسبط ابن الجوزي وبعض المستشرقون للأحداث. فقد كان من المفترض أن يقف الأمر عند مقتل الوزير. باعتباره على تفسير ابن سبط الجوزي غير محسوب على طرف معين. بل بالعكس كان له مكانة ومنزلة عند أهل دمشق.[26]

والذي يظهر أن الوزير قد قطع شوطا كبيرا في التعامل مع الحشاشين، وربط مصيره بمصيرهم.

من نتائج الحملة على النزارية في دمشق:

فقدان الإسماعيلية لمركزهم في دمشق

حرق بيت الدعوة التابع لهم

مقتل واعتقال العديد منهم ومصادرة ممتلكاتهم وأموالهم.

ردة فعل النزارية على أحداث دمشق سنة (523هـ)

وصلت الأخبار إلى الباطنية المقيمين في حصن بانياس وزعيمهم الجديد إسماعيل العجمي، فخشي من ردة فعل الناس، وأن تثور عليه المناطق المحيطة به، فقرر أن يراسل الفرنج ويعرض عليهم تسليم الحصن مقابل إقامته وأصحابه عندهم، وافق الصليبيين وتسلموا الحصن منه، فأقام إسماعيل

---

[26] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، أحداث سنة (523ه). 2/ 212.

وأتباعه تحت حمايتهم حتى مات سنة (524هـ)، ولم يكن إسماعيل العجمي وأصحابه مرحب بهم في ديار الصليبين، فلقوا شدة وذل وهوان، وتوفي سليمان العجمي في سنة (524هـ).[27]

ويرجع امتناع الصليبيين عن قبولهم إلى ما اشتهروا به من أعمال القتل والاغتيال.

ولتسليم النزارية الحصن للصليبين يحمل في طياته دوافع مشتركة ذات مصالح سياسية وإنتقامية، بينما يذهب المستشرق برنارد بأن الدافع جغرافي لا أكثر.

وتوالي الأحداث، من مشاركة النزارية للفرنج، ينفي نفيا قاطعا ما قاله المستشرق برنارد،[28] فقد قام الفرنج بحشد أنصارهم وأتباعهم، وبمشاركة من النزارية ممن هرب من دمشق وحصن بانياس، يدفعهم الانتقام مما حل بهم، بحملة كبيرة على دمشق وصلت إلى أبواب دمشق وبعدها بدأت تتراجع بسبب الهجمات التي كانت تتلقها أثناء مسيرها. وتمكن بعدها إسماعيل ابن بوري من استعادة السيطرة على الحصن سنة(527هـ).[29]

الانتقام النزاري من الملك بوري سنة (525هـ)

توقع تاج الملوك بُوري ومن معه في السلطة من انتقام للنزارية سيأتي في أي وقت، فبدأت الاحتياطات والتدابير الأمنية المشددة، فأحاط نفسه بمجموعات من الحراسة من فئات مختلفة من الأحداث و نوع بالجند من أماكن من الديلم والأتراك بالإضافة لحرسه الخاص مع لبس الدروع وعدم خلعه، وكذلك فعل رئيس الشرطة مفرج بن الحسن الصوفي والحاجب يوسف بن فيروز شحنة البلد.[30]

وإذا المنيّة أنشبت أظفارها ألفيت كلَّ تميمةٍ لا تنْـفَـع

---

[27] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 17/9.

[28] برنارد، الحشاشون، 195.

[29] ابن القلانسي، تاريخ دمشق، 357. ؛ابن شداد، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، 141.

[30] ابن القلانسي، تاريخ دمشق. 355.



وقامت النزارية بالتخطيط من قلعة ألموت في بلاد فارس لقتل الملك بوري، من خلال توكيل المهمة إلى رجلان من خراسان

عملوا في خدمة الملك وانتظروا الفرصة المناسبة لينقضوا على الملك، فضربه الأول على رأسه فجرح رقبته وضـــربه الثاني في خاصـــرته وكان هذا الجرح أكبر وأعمق، لينقض حرس الملك على المهاجمين ويقتلوهم، وتعافى الملك من الجرح الأول وبقي الجرح الثاني فترة ثم شـــفي لكن بقي كل فترة يبرا ثم يتقرح فكان سبباً لهلاكه. ليموت تاج الملوك بوري بن ظهير الدين طغتكين سنة (526هـ) بعد صراع مع المرض نحل جسمه وضعفت قوته، ولم ينفع معه العلاج.[31]

ومن أهم نتائج مقتل الحاكم بوري:

أ- التنفيذ من القيادة المركزية في فارس من حصن الموت على أيدي أجنبية

ب- قتل النزارية للأمير بوري كان له أثر سلبي على حركة الجهاد ضد الصليبيين

ت- قدرة النزارية على قتل الملوك والأمراء دليل على مدى قدرة النزارية التوغل واختراق المجتمعات

[31] ابن القلانسي، تاريخ دمشق. 366. ؛سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان. 20/ 234.

ث- انقلاب النزارية ومشاركتهم للصليبيين في حصارهم لدمشق، ورمي أنفسهم بأحضان الصليبيين، بعد خسارتهم في دمشق

ج- على الرغم من تمكن النزارية من قتل الأمير بوري حاكم دمشق، فإن نفوذها إلى دمشق بقي في تراجع ولم يكتب له البقاء.

د- تقرب النزارية من الصليبيين فتح لهم باب من العلاقات الجديدة مع أطراف الصراع على بلاد الشام، وتمكنت النزارية من التعامل مع الصليبيين وتحاول أن تجد لنفسها مكان بين تلك الأطراف.

حقيقة العلاقة بين الحشاشين والصليبين

يذهب بعض من كتب عن النزارية إلى القول بأن النزراية لجأت إلى الصـليبيين مضـطردة كردة فعل:" كثرة المذابح التي تعرض لها الإسـماعيلية في الشـام من قبل السـنين قد فتحت أبواب التقارب بينهم وبين الصـليبيين الذين وجدوا، فيها فرصـة ذهبية لتحقيق أطماعهم في الشـرق الأدنى على حسـاب الخلاف السياسي والصراع المذهبي بين المسلمين تماما مثلما حدث أثناء الحملة الصلبية الأولى".[32]

ويذهب المستشرق برنارد(*الحشاشون*. 194) للقول:

بأن النزارية، كانت كعامة المسـلمين، لا تبالي بالصـراع الديني المقدس، القائم بين الأطراف (السـنية والصـليبية) في تلك الفترة، ويذهب أبعد من ذلك بقوله أن التعاون الوثيق الذي تذكره المصـادر التاريخية لدى المسلمين، تعود إلى ترسخات ذهنية عن حروب الإسلام المقدسة التي تنتشر بين المسلمين.[33]



32 سامة زيد، الصليبيون وإسماعيلية الشام في عصر الحروب الصليبية. 151.

عثمان عشري، الإسماعيليون في بلاد الشام.(مصر: مكتبة الاسكندرية1982). 132 [33].

يمكننا القول أن المشروع النزاري الباطني:

كان يعمل منفرداً عن المشروع الصليبي والمشروع الإسلامي، فهو لا يفكر إلا في مصالحه بغض النظر عن العواقب التي ستنتج عن هذا التصرف، وكانت تصرفات النزارية الباطنية تشعرنا أننا أمام جسم غريب لا ينتمي للمنطقة ولا يعبئ بالنتائج التي ستحل بالمنطقة بسبب تصرفاتهم لأن هدفهم الأول الانتقام ورد الاعتبار، كما كانت النزارية في صرعات مع المجتمعات التي وجدت فيها، من أطراف سنية وشيعية على حد سواء. وتعد النزارية أكثر الأطراف المشحونة عقائدياً، وتنظر إلى كل الأطراف المتواجدة نظرة عقائدية متطرفة، فهي كذلك تخوض حرب مقدسة، ولكن ضمن سياستها الخاصة.

ولعبت النزارية دور سلبي في الصراع القائم بين أمراء السلاجقة، ومن خلال التغلغل في صفوف السلاجقة أوقعت الخلاف أكثر وأكثر، وعمقت لعوامل الانهيار السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وهذا ساعد على انهيار الجبهة السلجوقية أمام الصليبيين/:كما أن الصراع بين حكام السلاجقة سهل المهمة على الإسماعيلية، وكان من أكبر العوامل الي ساعدت على انتشار الإسماعيلية.

وبذلك تنتهي المرحلة الأولى من انتشار النزارية في مدن بلاد الشام، لتبدئ بعدها مرحلة اللجوء إلى الجبال والتحصن في القلاع.



رابعاً: معالم المرحلة الجديدة التحصن في الجبال

عبر التاريخ تحصـنت الفرق الباطنية والأقليات في الجبال السـورية بسـبب عوامل الأمن والدفاع، حيث شـكلت التضـاريس الوعرة ملاذاً يحميهم من الغزوات والاضـطهاد، إضـافة إلى أن العزلة الجغرافية ساعدتهم في البقاء والحفاظ على هويتهم الدينية والثقافية.

بدأت معالم هذه المرحلة تظهر من خلال تحصـن النزارية في الجبال والقلاع غربي بلاد الشـام وجعلها قواعد للدعوة النزارية، بعد فشـل النزارية في السـيطرة على حلب ودمشـق، دخلت الإسـماعيلية مرحلة جديدة من الصـراع من أجل البقاء. فالضـربات المتلاحقة التي نزلت بالإسـماعيلية جعلت عيونهم تتطلع إلى أماكن أكثر أمناً تستطيع بحكم طبيعتها الجغرافية أن تحقق لهم الحماية الكافية.

فتركزت جهودهم إبان تلك الفترة باتجاه التحصـن في جبل السـماق جنوب غرب حلب، وجبل البهراء غرب سوريا وكان يسكنه بني المنقذ والنصيرين وفيه العديد من القلاع تمكن النزاريون من الحصول على العديد من القواعد القلاعية في تلك الجبال.

سـنة (527هـ) يذكر المؤرخ الأعظمي (ت556هـ) أن الاسـماعيلية بدأت تعيد ترتيب صـفوفها، ويقوم زعيمها بالسيطرة على مزيد من الحصون، بطرق متعددة منها شراء الحصون. تاريخ حلب، 385.



إرسال الدعاة من جديد إلى جبال سوريا

بعد النكبة التي حلت بالنزارية في دمشق سنة (523هـــ)، تدهورت الحالة الصحية لزعيم النزارية الجديد إسماعيل العجمي، فقد أصيب بمرض الإسهال، فمات في سنة (524هـ).[34]

هنا بدأت تظهر لدى النزارية مرحلة جديدة وسياسة جديدة، ظهرت بالانسحاب من المدن والتمركز في جبل السماق وجبل البهراء غرب سوريا. سارعت القيادة المركزية للإسماعيلية في قلعة الموت في بلاد فارس لإنقاذ أتباعها في بلاد الشام من التفرق والضياع، فقامت بإرسال كبير الدعاة عرف بأبي محمد ليكون زعيم للنزارية في بلاد الشام.

تمكن كبير الدعاة أبو محمد من تركيز جهود دعوته في جبال السماق وجبال البهراء في سوريا، وكانت تلك المناطق يسكنها النصيرية والدروز بالإضافة لتواجد قليل من القبائل العربية وبعض أتباع النزارية، فزاد نفوذ النزارية في تلك المناطق من خلال تملكهم لبعض القلاع والحصون والتحصن بها، وإعادة ترتيب صفوف الإسماعيلية من جديد.[35]

التعريف بجبل السماق وجبال البهراء

أ. جبلُ السُّمَّاق:

يقع غرب مدينة حلب، يضم العديد من القرى التي سكنها الحشاشون وشكلوا تجمعات سكنية، شملت على العديد من التحصينات والقلاع، ذكر ذلك والرحالة أبو الحسن المغربي (ت685هـ) في كتابه "*الجغرافيا*" 41. ؛ والرحالة ابن الشمائل البغدادي (ت 739هـ) في كتابه "*مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع*(311 /1).

"جبل عظيم من أعمال حلب الغربيّة مشتمل على مدن عظيمة وقرى وقلاع، كلّها مساكن الإسماعيلية الملحدة " .

وعن سبب تسمية الحبل بالسماق،

يقول الرحالة الحموي (ت626هـ)في كتابه «*معجم البلدان*» (2/ 102) ســمي بذلك لكثرة ما ينبت فيه من الســماق، هو جبل عظيم من أعمال حلب الغربية، يشـــتمل على مدن كثيرة وقرى وقلاع، عامتها للإســـماعيلية الملحدة، وأكثرهم في طاعة صـــاحب حلب، وفيه بســاتين ومزارع كلها عذي (من ماء المطر)، والمياه الجارية به قليلة إلا ما كان من عيون

[34] الذهبي، تاريخ الإسلام، 17/36.

[35] لصفدي، الوافي بالوفيات، 284/15. ؛ الأعظمي: تاريخ حلب، 30.

ليست بالكثيرة في مواضع مخصوصة، ولذلك تنبت فيه جميع أشجار الفواكه وغيرها حتى المشمش والقطن والسمسم وغير ذلك»





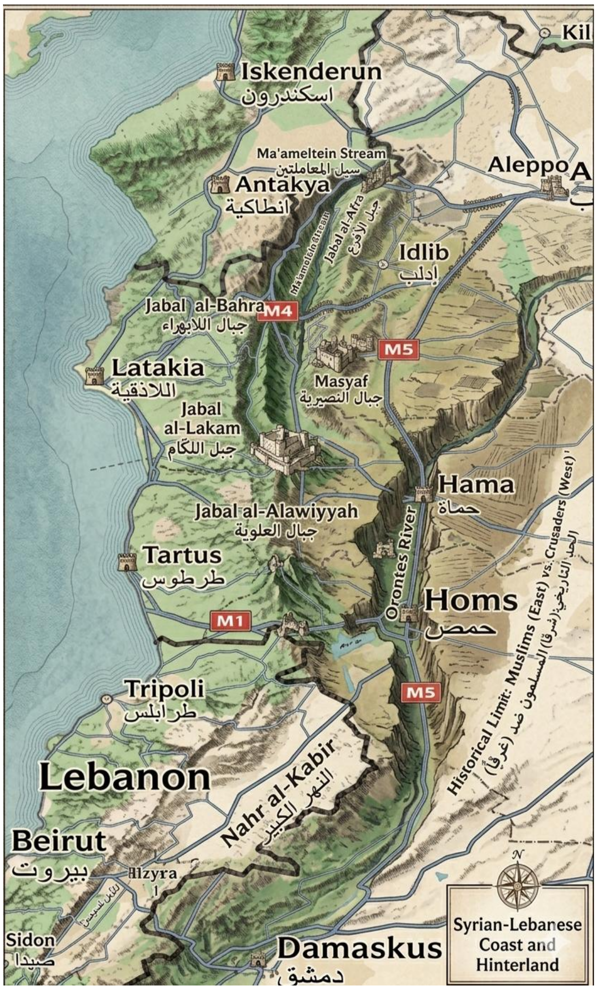
شهدت هذه المناطق: منذُ سيطرة السلاجقة السنة عليها، تضيق على مناطق انتشار الإسماعيلية النزارية، ومع مرور الزمن، بدأنا نلاحظ تراجع وانحسار في نفوذ الإسماعيلية النزارية (الحشاشين)التي كانت منتشرة في حلب وماحلوها، كحال تواجدهم في مدينة الباب، التي تقع شمال حلب، ذكرها، الرحالة ابن جبير توفي سنة (614هـ) في كتابه "*رحلة ابن جبير*" ص202، عندما زار حلب وما حولها سنة (580هـ).بقوله:

تعرف بالباب: هي باب بين. بزاعة وحلب، وكان يعمرها منذ ثماني سنين قوم من الملاحدة الإسماعيلية لا يحصي عددهم الا الله، فطار شرارهم، وقطع هذه السبيل فسادهم واضرارهم، حتى داخلت أهل هذه البلاد العصبية، وحرّكتهم الأنفة والحمية، فتجمعوا من كل أوب عليهم، ووضعوا السيوف فيهم،

فاستأصلوهم عن آخرهم، وعجّلوا بقطع دابرهم، وكوّمت بهذه البطحاء جماجمهم، وكفى الله المسلمين عاديتهم وشرهم، وأحاق بهم مكرهم، والحمد لله رب العالمين.وسكانها اليوم قوم سنيون،»

وابن جبير يشـــير إلى حادثة إعلان يوم القيامة (ســـنذكرها لاحقا)، وما رافقها من يدل على التغيير الســـكاني الســـريع والمذهبي وما يتبعه من هجرة للسكان، الذي حدث في تلك في حلب وما حولها.

جبال بهراء



يطلق على هذه الجبال عدة أسماء منها جبال اللّكّام،[36] وجبال النصيرية وجبال العلوية وجبال اللاذقية، يتكون جبل بهراء من سلسلة جبلية يبلغ متوسط ارتفاعها 900م، يفصلها جنوباً عن لبنان الوادي العريض للنهر الكبير وعن جبل الأفرع في الشمال سيل المعاملتين. هذه الجبال تنحدر عمودياً نحو وادي العاصي من جهة الشرق وتتصل بساحل ضيّق يمتد بين منحدرات الوادي الغربية والبحر المتوسط. وكانت هذه الجبال بالإضافة لجبال لبنان التي تقع جنوبها هي الحد الفاصل بين المسلمين والصليبيين. وكانت يسكن هذه الجبال النصيرية مع تقاسم للسيطرة بين بني المنقذ اللذين بدا يظهر عليهم الضعف وبين الصليبيين. فاستوطنوا الوديان الوعرة في جبال البهراء وكانت أراضي غير مأهولة بكثافة، تقع ما بين الفرنجة والمسلمين في جنوبي غرب سورية وامتلكوا فيها عدداً من القلاع الصغيرة في حجمها إلا أنها قوية جيدة الحماية مثل مصياف والقدموس وأبو قبيس والكهف والعليقة وظلوا حتى نهاية القرن الثالث عشر ميلادي.[37]

---

[36] نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، 1/ 353

[37] *فولفغانغ* مولر، القلاع أيام الحروب الصليبية، ط2. (دمشق: دار الفكر،1984) 21.

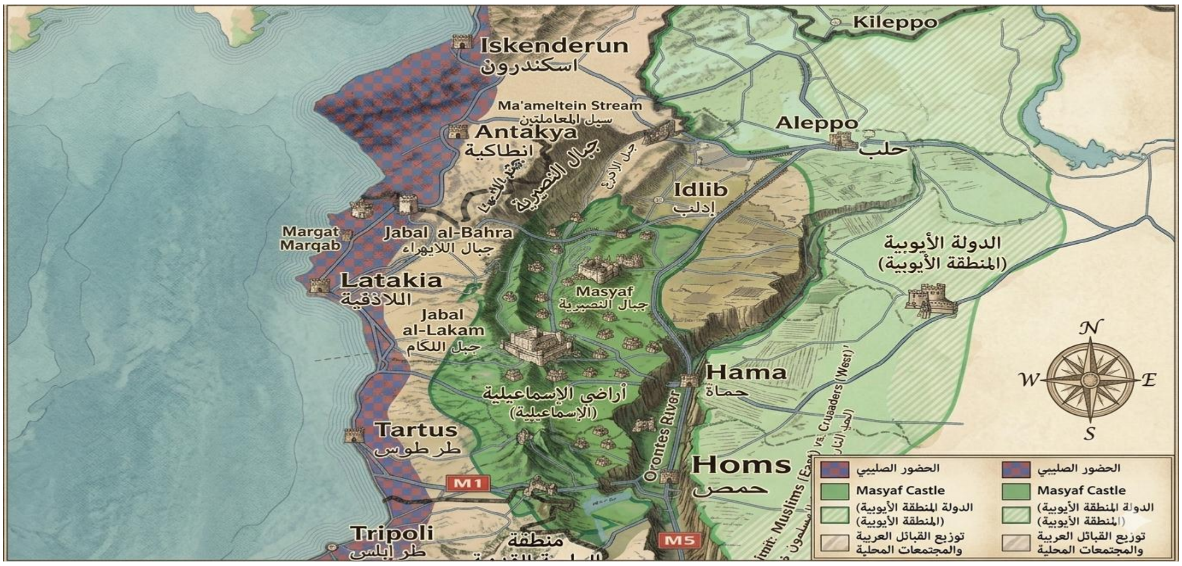
التركيبة السكانية لجبال البهرة سنة (500هـ) وما بعدها

ذكر ابن جبير (ت614هـ) عند زيارته للمنطقة سنة (580هـ)[38]

"وفـي صـفحته حصـون للملاحـدة الإسـماعيلية، فرقـة مرقـت مـن الإسـلام وادعـت الإلهيـة فـي أحـد الأنـام، وسـلط الله علـى هـذه الرافضــة طائفــة تعـرف بالنبويــة، سـنيون يـدينون بـالفتوة ... وهـم يقتلـون هـؤلاء الـروافض أينمـا وجـدوهم. وشأنهم عجيب في الأنفة والائتلاف".

ويذكر أبو الحسن المغربي:

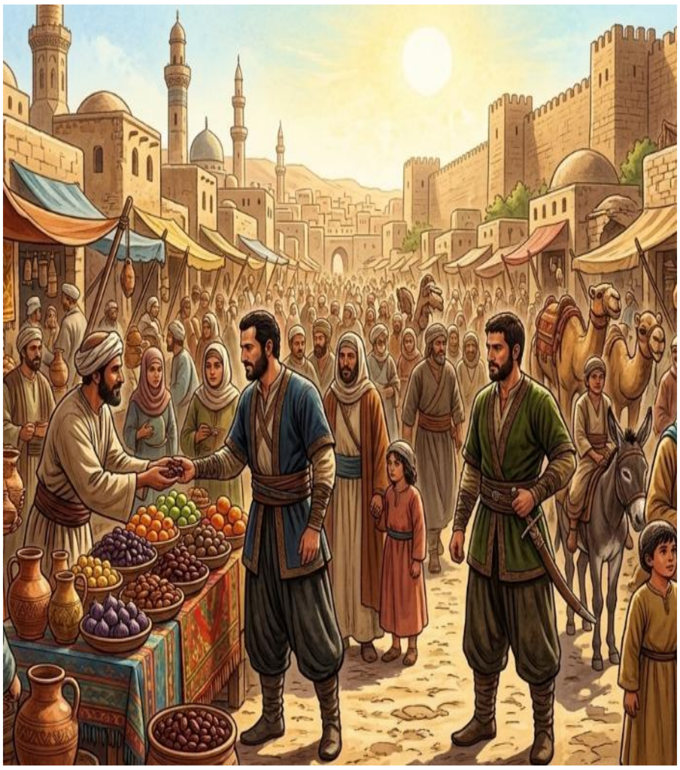
عن جبل سكين: (متصل بجبال البهرة) الذي تنتشر فيه دعوة الإسماعيلية وفيه حصونهم، مصياف والكاف الحواني، فيما بين حمص وحماه إلى جهة البحر. وفي طرفه من جهة بعلبك وحمص، حصن الأكراد؛ أن النصيرية كانوا يعيشون كذلك في تلك الجبال. (سنذكرهم في نهاية الكتاب)



[38] ابن جبير، رحلة ابن جبير ط دار الهلال، ص206– 227.؛ أبو الحسن المغربي، الجغرافيا، 41.

"النبوية"

وهم جماعة من أهل السنة والجماعة برزوا في حقب تاريخية معينة (كما ورد في رحلة ابن بطوطة)، حيث اعتمدوا نظاماً اجتماعياً وأخلاقياً صارماً قائماً على مفهوم "الفتوة ." والفتوة عندهم ليست مجرد قوة بدنية، بل هي ميثاق أخلاقي يجمع الشجاعة، والكرم، والترفع عن صغائر الأمور. وللانضمام لهذه الطائفة طقوس خاصة تُعرف بـ "تحزيم السراويل"؛ فمن رأوا فيه خصال الشهامة والرجولة، ألبسوه "سراويل الفتوة" في مراسم معينة.أهم ما يميز هذه الجماعة هو مبدأ "الأنفة" وعدم الاستعداء؛ إذ يأنفون من اللجوء للسلطان أو القاضي لطلب الحق إذا نزلت بساحتهم نازلة أو تعرض أحدهم لظلم، معتبرين أن الاستعانة بالسلطة ضعفٌ لا يليق بفتى، فإما أن يأخذ الفتى حقه بيده أو يصبر بشموخ. كما أنهم يقدسون العهد؛ وهم في ذلك يمتازون بـ "الائتلاف "الشديد والتكاتف فيما بينهم. أما في خصوماتهم المذهبية، فقد كانوا في صراع مرير وحرب شعواء مع "الرافضة".. وحسب المستشرق هادجسون: شكلوا الخطر الأكبر على الحشاشون، فقد كانوا يخشونهم أكثر من الزنكيين والأيوبيين.القتلة،190



ويذكر الرحالة اليهودي **بنيامين التطيلي** (ولد في الأندلس و توفي سـنة (569هـ) الملقب "ماركو بولو اليهودي"، في كتابه الشـهير هو "***رحلة بنيامين***" أثناء زيارته لبلاد الشـام والعراق ومصـر، في رحلة استغرقت (8) سنوات، من عام (561 إلى 569) وبعدها عاد إلى الأندلس حيث مات بعد فترة قصيرة. عن تواجد الحشاشين في تلك الجبال، وذكرهم باسم الحشاشين، يدل على انتشار هذا اللقب بين الناس. يقول:

"ومن هنا (أي من طرابلس) مسيرة يوم إلى مدينة الجبيل ...(Guebal) ومنها مسيرة يومين إلى مدينة بلدان (Belinas) وهي بانياس. وهناك يسكن القوم الذين يُعرفون بالحشاشين (*Hashishim* 232)

بينما يذكر الرحالة الغربي **وليم الصـــوري (581هـ)** في تاريخه،أن عددهم يبلغ (70) ألف أو يزيدون، ويسمي من يسكن تلك الجبال: بالقتلة، يُطلق عليهم اسم.(Assassini) وأحيانا الحشاشة.[39]



وتكلم **ابن بطوطة** (ت779هـ) عن سكان هذه الجبال أثناء زيارته فقال:

"وهذه الحصون (أي: حصون القدموس، مصياف، المينقة، العليقة، الكهف وغيرها) لطائفة يقال لهم الإسماعيلية ويقال لهم الفداويّة ولا يدخل عليهم أحد من غيرهم".[40] وكذلك ذكر المؤرخ **القلْقشندي** (ت 821 هـ)، تواجدهم في عهده.

ويحدثنا المؤرخ الغزي (ت1351هـ) عن عددهم في زمانه، بقوله:

"ويبلغ عددهم في ناحية القدموس من جبل النصيرية وفي جبل السماق نحو ألفي نفس وهم الآن يتظاهرون بأفعال أهل السنة ويقيمون الفروض الإسلامية".[41]

فأعدادهم في تناقص عبر الزمن، متأثرين بالعديد من العوامل المحيطة بهم.

---

[39] سهيل زكّار، الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، 966/8.

[40] ابن بطوطة: محمد بن عبدالله الطنجي، (**أكاديمية المملكة المغربية، الرباط،** 1417هـ) 286/1.؛ القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء،ط1 (دار الكتب العلمية، بيروت 1987م)،76/4.

[41] الغزي، كامل بن حسين الحلبي، ط2،(حلب، دار القلم، 1419هـ) 171/1.

قلاع الدعوة

تشير النصوص أيضًا إلى أن الحصون النَّزارية في جبال بهرة كانت متقاربة بحيث تُشكِّل شبكة دفاعية، فإذا تعرّض حصن لهجوم أمكن للآخرين إمداده بسرعة، وأن هذه السياسة ساعدتهم على صدّ الغزاة والتغلّب على العصبيّات المحلّية. (هادحسون: القتلة، 192)

(وهذا تكتيك عسكري متبع في الحروب الحديثة، يعد من أهم عناصر الصمود أمام الهجمات المعادية).

امتدت هذه الحصون على أغلب جبال البهرة، أو جبال العلويين في الوقت الحالي، وأهم هذه القلاع: القدموس، مصياف، الرصافة، العليقة، المرقب، الخوابي، الكهف.... وغيرها، يذكر مار ميخائيل السرياني السوري ولد في ملطية (شرق تركيا الحالية) (520-595هـ)، المعروف بـ "ميخائيل الكبير"،لماذا سميت هذه القلاع بالدعوة: بسبب قرب هذه الحصون من بعضها، وسكنتها من قبل النزارية، أطلق على القلاع اسم قلاع الدعوة.

ذكر بعض المؤرخين أنها سبع قلاع: عظيمة الشأن رفيعة المقدار لا تسامى منعة ولا ترام حصانة، تمتد بين حماة وحمص متصلة بالبحر المتوسط على القرب من طرابلس وهي: مصياف، والرّصافة، والخوابي والقدموس، والكهف، والعليقة، والمينقة.[42]

بينمايذكر وليم الصوري أن عدد قلاع الدعوة بعشرة. وذكر آخرون أن النزارية سيطرت على أحد عشر حصناً. وهذا يرجع ان بعض القلاع غير استراتيجية والسيطرة عليها ليس بالأمر الهام بعض القلاع تتبع لقلاع آخرى فالسيطرة على إحدى القلاع الهامة والاستراتيجية يعني تبيعة بشكل تلقائي للقاعدة الأهم.

وأغلب هذه القلاع بناها الصليبيين لتسيطر على الممرات التي امتدت بين الأقاليم الإسلامية الداخلية والمناطق الإفرنجية الساحلية. وبنى الإسماعيلية قلعة الرصافة، وهي من ناحية وأعمال قلعة الخوابي.[43]

---

[42] القلشقندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، 1/ 149-157.

[43] ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم،تح، نعيم العرقسوسي، ط1. (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٩٩٣). 199/4.

هي صـــخرة طبيعة ترتفع 1000م عن ســطح البحر، تقع القلعة نحو 30 كم شــرق بانياس و70 كم شـــمال شــرقي طرطوس، ولا يمكن الدخول إليها إلا من باب واحد من الجهة الشــرقية، ونظراً لمناعتها ولموقها المتوسط بين القلاع، جعلها الإسماعيلية النزارية عاصمة لقلاعهم، في فترة من فترات التاريخ.



ذكر العمري، شهاب الدين (ت 749هـــ): أن بها حمّاما يظهر منه أنواع من الحيّات بظاهرة عجيبة ، حيث تعيش الحيات (الأفاعي) مع الناس بكثافة داخل الحمام وتختبئ في ملابســـهم، لكنها أليفة تماماً ولا تلدغ أو تؤذي أحداً أبداً، وكأنها حيوانات مسالمة تعيش معهم جنباً إلى جنب، ولا تضر أحدا البتة.. وهذه الظاهرة تتكرر في حصن الخوابي يوجد صدع، أي شخص تلدغه أفعى (حية)، يكفيه أن يذهب إلى هذا الشق أو الموضـع في سور القلعة وينظر إليه بعينه، أو حتى يرسل شـخصـاً آخر ينظر إلى المكان بدلاً عنه، فيشـفى من السـم فوراً ولا يضـر، وهذا الأمر يندرج ضــمن "العجائب" التي كانت تُروى عن القلاع والبلدان في ذلك الزمان ويتعجب العمري (ت749ه) من هذا التأثير، متســائلاً إن كان ســببه "طلســم" (سحر) أو "خاصية طبيعية" في الحجر، خاصة وأن النفع يصل للمريض بمجرد رؤية رسوله للمكان، وهو ما اعتبره من أعظم العجائب.[44]

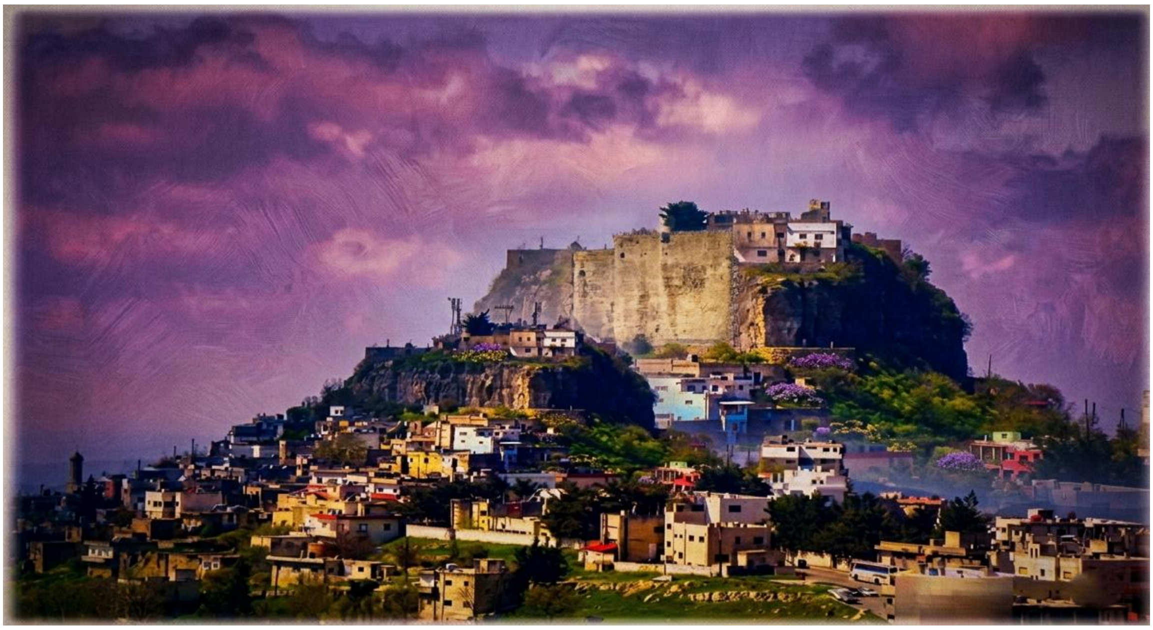
[44] العمري، مسالك الأبصارفي ممالك الأبصار، 3/539.؛ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. 4/ 149

وهذا لا أصل له في الشرع ولا في العلم. فقد بيّن علماء المسلمين أن مثل هذه الروايات من الخرافات والأساطير التي لا تقوم على دليل، ولا يثبت بها حكم ولا تُبنى عليها قناعة. فالسمّ سمّ، وطبيعته الإيذاء لا الشفاء، ولا يتحول إلى دواء إلا بعد معالجات طبية دقيقة معروفة. أما الشرع فيقرر أن الشفاء يكون بالأسباب المشروعة والوسائل الطبية الموثوقة، لا بالخرافات والأساطير.

السيطرة النزارية على الحصن

في عهد الداعية بهرام سنة(523) تمكن الحشاشون من السيطرة على حصن القدموس، ولم يستمر طويلاً معهم، ثم في سنة (527) اشترى الداعية النزاري أبو الفتح حصن القدموس من صاحبه سيف الملك ابن عمرون، وصعدوا إليه، وقام الباطنية هذه المرة بالإقامة بالحصن وتثبيت أقدامهم وتعزيز وجودهم، وجعله قاعدة انطلاق لعملياتهم، ضدَ جيرانهم من المسلمين والفرنجة، لذلك لم يرغب طرف بمجاورة الإسماعيلية، وذلك لأهدافهم التوسعية وخناجر فداءيهم،[45]

بلاشك هذه التصرفات العدوانية والأطماع التوسعية بالاضافة لعمليات الاغتيال، جعلتهم محل كراهية لكل من يجاورهم.



[45] ابن الأثير، الكامل في التاريخ،47/9؛ ابن العديم، زبدة الحلب بتاريخ حلب. 616.؛ عمر زين الدين ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ط1.(لبنان: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦). 37/2؛ الأعظمي، تاريخ حلب، 385.

السيطرة على حصن الخريبية سنة (531هـ)

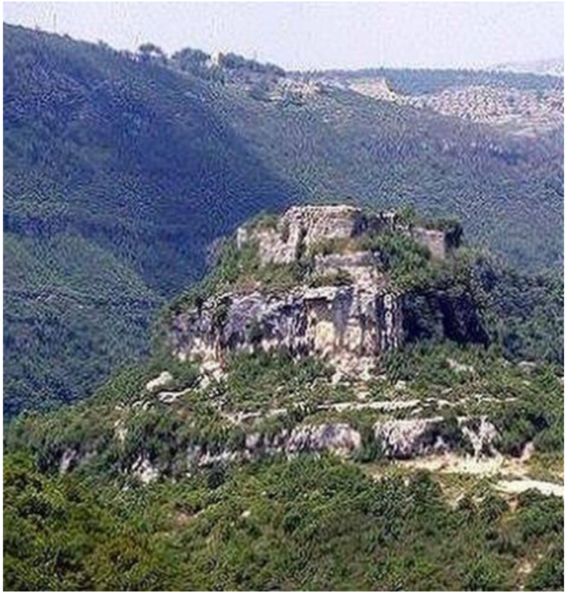


يُعدّ **حصن الخريبة** واحدًا من التحصـــينات الجبلية البارزة في الســـاحل الســـوري، ويقع في منطقة ذات تضـــــاريس وعرة تمنحه موقعًا دفـــاعيًـــا طبيعيًـــا مميزًا،وموقع استراتيجي هام.

اســتطاع النزارية الســيطرة على الحصـــن عن طريق الســكان المحليين من النزارية، اللذين تمكنوا من طرد الصليبيين منها، وأخرجهم منها الزنكيين لفترة قصيرة، عاد النزاريون وسيطروا على القلعة.

حصن الكَهف سنة (533هـ)

وهي قلعة بالقرب من القدموس على مسافة عشرين كيلومتر، في طريق ضيق صعب الاجتياز، وقديما على نحو مسير ساعة من حصن القدموس، وتقع قلعة الكهف على جبل مرتفع عال يرى على بعد.

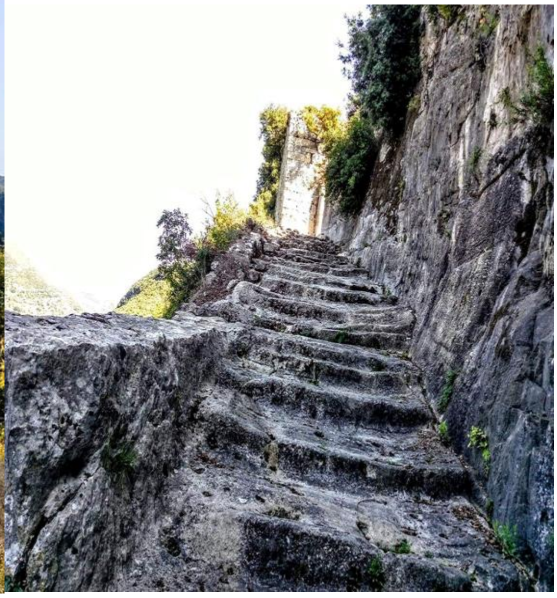



ويذكر القلقشندي (ت812هـ): الحصن قائم على هضبة صخرية فوق وادي سحيق يجري فيه نهر تتجمع فيه مياه الشتاء. صبح الأعشى، 4/ 152.

ويذكر المستشرق: بيتر ويليت(ت2009) والمستشرق روسو(ت1831م)عن صعوبة الوصول إلى القلعة وهي من أكثر القلاع إثارة للاهتمام.

وتملك النزارية الحصن عن طريق موسى بن سيف الدين بن عمرون، ذكر ذلك ابن النديم(ت660هـ) في كتابه، زبدة الحلب في تاريخ حلب، 320. ليكون بداية لترسيخ وجودهم في النطقة، وليصبح فيما بعد قاعدة مهمة لنشاط الإسماعيلية، وجعل الداعية سنان بن راشد الحصن مقراً له في بداية أمره، وكانت وفاته في ذلك الحصن.





السيطرة على قلعة الخَوَابِي

وهي قلعة في جهة الشّـــمال من طرابلس وتُعد القلعة تابعة ومرتبطة بقلعة الكهف ذات الموقع الاستراتيجي.

ويذكر الأعظمي(ت556هـ) في *"تاريخ حلب"*، تمكن النزارية من السيطرة على الحصن عن طريق السكان المحليين.



ثم توالت السـيطرة على قلعة العُلّيقة وقلعة المَيْنَقَة تبعد عن قلعة القدموس (15) كم إلى جهة الشـمال الغربي، وبدأت تسقط بأيدهم القلاع بشكل متسارع.

السيطرة على قلعة مِصْياف

هي بلدة جليلة، ذات تركيبة سكانية مختلطة تضم **علويين وسُنّة وإسماعيليين**، لكن **الغالبية من الطائفة الإسماعيلية**، لها قلعة حصينة في لحف جبل البهراء(اللّكام) للغرب من مدينة حماة والشرق من مدينة طرابلس والشّمال عن بارين، وبها أنهر صغار من أعين، وبها البساتين والأشجار.



ويأتي الحدث الأبرز في السيطرة على قلعة مِصْياف سنة (535هـ) وتمت السيطرة على الحصن هذه المرة بدون قتال أو دفع مال لأصـــحابها بني المنقذ، إنما عن طريق الحيلة والخداع، فقد تســـلل عدد من رجال النزارية إلى الحصن، وخدَعوا صاحب الحصن وقاموا بالغدر به وقتله، والاستيلاء على الحصن.[46]

وتأتي أهمية السيطرة على حصن مصياف:

أ- منطقة مصياف عامرة بالقلاع والحصون، وهي حصينة ومنعزلة، وحافلة بالثمار والخيرات

ب- تتمتع بتواجد عدد كبير من أنصار الدعوة النزارية فيها، وفي القرى التي تحيط بها.

ت- تقع مصياف غرب حماة وقريبة من سلمية، المقر الروحي السابق للاسماعيلية بالشام.

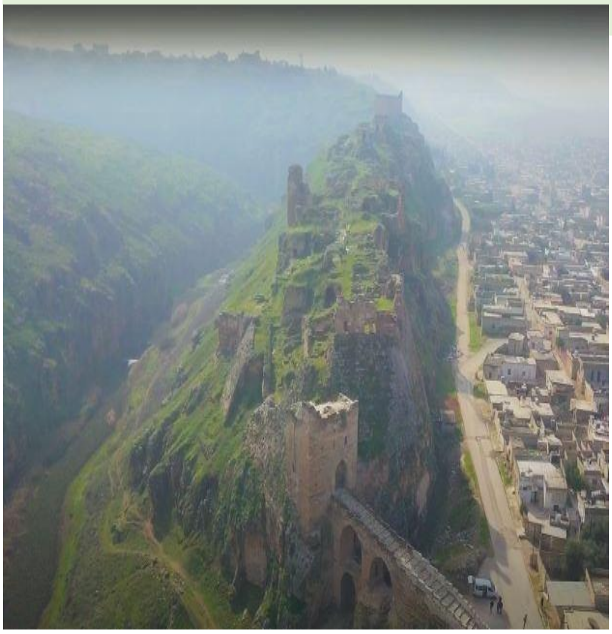
وكانت هذه القلاع على اتصال مع بعضها، وتشكل كتلة متكاملة ومتسلسلة من القلاع، مرتبطة جميعها بقلعة مصياف.[47]

[46] ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، 2/ 42؛ ابن القلانسي: تاريخ دمشق؛ المختصر في أخبار البشر، 315.؛ أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، 4/ 117.

[47] ابن خلدون، ديوان المبتدأ و الخبر، 125/4.

استفاد الإسماعيلية من العوامل الطبيعية، كالزلازل الذي حدث في حصن شيزر سنة (522هـ) وأدى لتهدم الحصن فوق حكامه بني المنقذ، ومقتل واليها تاج الدولة بن أبي العساكر بن منقذ، ومقتل من معه من القادة،عندما وقع سقف القلعة عليهم، فسارع الحشاشون للسيطرة على الحصن، وبسيطرة النزارية على الحصن قضت بذلك على حكم بني المنقذ في شيزر، وثم سلموا الحصن لنور الدين زنكي بعد فترة قصيرة، بعد أن طلبه منهم، خشية من سيطرة الصليبيين عليه.[48]





الفروق بين القلاع الإسماعيلية في سوريا وإيران

وفقاً لما ذكره الباحث بيتر ويلي(ت2009)، فإن القلاع الإســـماعيلية في ســـوريا تختلف جوهرياً عن نظيراتها في إيران: من حيث الجغرافيا والمســـاحة والاســـتراتيجية الدفاعية. فبينما تميزت القلاع الإيرانية بوجودها في مناطق شاسعة ومرتفعة جداً في جبال البرز (تصل إلى 2140 متراً)،

كانت القلاع الســـورية تقع في جبال أقل ارتفاعاً (حوالي 920 متراً) ومحاصـــرة بوجود الأعداء من الصليبيين والمسلمين على مسافات قريبة. وبسبب ضيق المساحة في المواقع السورية، اعتمد المعماريون على البراعة البشرية في اختيار مواقع "مخفية في ثنايا الجبال" ويصعب الوصول إليها، مثل قلعة الكهف، لتعويض نقص العمق الجغرافي. كما اضطر السكان لتعديل تقنياتهم الإنشائية لتشمل حفر خزانات أعمق للمياه والمؤن لضمان الصمود في تلك البيئة المحدودة.[49]

---

[48] ابن القلانسي، تاريخ دمشق، 527/1.

[49] ويلي، ب .(2005) .*عش النسر: القلاع الإسماعيلية في إيران وسوريا* .آي بي توريس، ص. 217 .**Willey, P. (2005).** .
***Eagle's Nest: Ismaili Castles in Iran and Syria*. I.B. Tauris, p. 217**



يتحدث الكتاب عن انتشار الدعوة النزارية في دمشق نتيجة الاتفاق الذي عُقد بين حاكم حلب إيلغازي بن أرتق وحاكم دمشق طغتكين، والذي أتاح للداعية بهرام وأتباعه الانتقال من حلب إلى دمشق وممارسة نشاطهم فيها، إلا أنَّ الدعوة واجهت هناك صعوبات كبيرة بسبب رفض العلماء والعامة لنفوذهم المتنامي، لتشهد المدينة لاحقًا أحداث سنة 523هـ ،

فكانت النتيجة: لجوء النزارية إلى الجبال البهرة

وانتقامهم من الملك بوري، تحصنخهم في الجبال، التي أصبحت مراكز للدعوة مثل: حصن القدموس ومصياف